

مشاعر مبعثرة

تسليم مصطفى فتیان

إهداء

إلى رُوحِ أبي الطَّاهرة

رَحِمَهُ اللهُ.

و إلى كُلِّ من تقبَّلتني في حُزني،
 وطبَّطَبَ على قلبي
 وأنسَ رُوحِي في كَأْبَتِي،
 إلى كُلِّ مَنْ شارَكَنِي
 دُموعَ الحُزنِ قبلَ الفرحِ،
 وكانَ إلى جانبي
 في الضَّرَّاءِ قبلَ السَّرَّاءِ.

المقدمة

أنظرُ إلى نفسي في المرآةِ عشراتِ المرّاتِ في اليومِ، أمرُّ عليها مرورَ الكرامِ، شيءٌ ما دفعني إلى أن أحتقّ في نفسي هذه المرّة.

أراها جيّداً، أتأمّلُها، بل أتأمّلُ نديباتِ نحتها الزمنُ أسفلَ عيناها، أعلى وجنتاها، سرحتُ في قطارِ القدرِ على سكةِ الأيامِ، وكأنني أحملُ بينَ يداي صندوقاً أسود اللونِ، يضمُّ مجموعةَ أوراقٍ تحملُ مشاعرَ سوداويةَ وأخرى ورديةَ، حملتها في قلبي زمناً، ورافقتني أياماً، وستبقى سجيناً الذاكرةِ دهرأً، هناك، بين الوعي و اللاوعي، بين الوجودِ واللاوجود، بين الشعورِ واللاشعور.

وها أنا عزيزي القارئ، جمعتها لك، علّنا نتقاسم مشاعرنا سوياً، أو لعلّ المواقف ذاتها تجمعنا في كتاب.

أَن تَلُوي الأَقْدَارُ ذِراعِيكَ،
 وَتَقِفُ عَاجِزاً بَينَ الحَيَاةِ وَاللَّحْيَاةِ،
 فَلَسْتَ قَادِراً عَلَى الاسْتِمْرَارِ،
 وَلَا تَمْتَلِكُ حَقَّ الرِّحِيلِ،
 أَن يَكُونَ
 الزَّمَانُ
 وَالْمَكَانُ
 وَالْقَدْرُ
 ضِدَّكَ

عِنْدَهَا تَقِفُ أَمَامَ خِيَارَيْنِ،
 إمَّا المَقَاوِمَةَ أَوْ الاسْتِسْلَامَ.

"ضياع"

أصبح الضياع حبراً لكلماتي،
وعنواناً واضحاً لحياتي،
قد تسرّب بين ثنايا ملامحي،
ولكن لحظة..

من هي الضائعة؟

أنا الآن؟

أم أنا في الأحلام؟

لست أدري.

ضائعةٌ أنا،

تائهةٌ،

مشتتةٌ،

وكأنني في متاهةٍ ليس لها مخرج.

دوّامةٌ نحنُ بها عالقون،

نادمون،

تائهون،

عاجزون عن وصف ما بنا.

باحٌ قلبي بالكثير والكثير،

نامت الأحلامُ على وهمٍ فات،

وأملٍ ضاع،

ولحنٍ مات.

جفّ حبرٌ قلّمي،

وتناثرت أوراقِي بعيداً من هنا.

ضائعةٌ أنا،
 بينَ الوهمِ والحقيقةِ،
 بينَ الجدِّ والسخريةِ.

ضائعةٌ أنا،
 بينَ فتاةٍ تحلمُ بأحلامٍ ورديةٍ،
 وبينَ زوجةٍ وأمٍّ عليها أن تكونَ أهلاً للمسؤوليةِ.

ضائعةٌ أنا،
 بينَ ربيعِ العمرِ وخريفه،
 بينَ أزهارٍ تنبت، وأوراقٍ تسقط.

تائهةٌ أنا،
 بينَ حروفٍ تُنطق، وكلماتٍ تتلاشى،
 ومشاعرٍ تولد، ومشاعرٍ تموت.

"صراعُ مع الذات"

يوأكبُ الإنسانُ في حياته صراعاتٍ عدة،
 مع مجتمعه، مع زمانه، مع عاداته وتقاليده،
 ولكن يبقى أشدَّ وأعظمُ صراعٍ،
 صراعه مع ذاته.
 أن تعيشَ تائهاً، ضائعاً، متخبّطاً بينَ قلبك وعقلك،
 بينَ مشاعركَ وذكرياتك،
 بينَ النسيانِ ولعنةِ الذاكرة،
 بينَ الزهايمرِ وفرطِ الاستذكارِ.

لا ننكرُ أنّ هناك لحظاتٍ يعيشها الإنسانُ تُعدُّ من أروع
 لحظاتِ العمرِ، تُزهرُ بينَ ثنايا تفاصيله وتحاكي تفكيره.
 تبقى تلكَ اللحظات على أنّها ذكريات تتأرجحُ بينَ طيّات
 الذاكرة، صلةٌ وصلٍ أو حبلٍ متينٍ يربطُ الحاضرَ
 بالماضي، الآن بـ "كان" واليومَ بالأمس، كما يُربط طرفي
 النهارِ بشروقٍ وغروبِ الشّمسِ.
 نمضي محلقينَ في ربوعِ الخيالِ نستحضرُ ما مضى،
 كحمامةٍ بيضاء اللون، تبحثُ عن غصنِ زيتونٍ أخضر في
 أرضٍ قاحلة، ضمن صحراء الذاكرة.
 علّها تنشرُ السّلام
 أو هل بقيَ للسّلامِ عنوان؟
 أم هل بقيَ لهدنةِ الرّوحِ مكان؟
 وماذا عن حربٍ هزّت جميع الأركان؟
 صراعٌ يعيشه الإنسان بينَ ملكين يتربّعان على عرشِ
 الجسدِ، قلبٌ أضناه التّعب، وذاكرةٌ معافاةٌ تماماً من نسيانِ
 العقبِ.

"الحيرةُ بينَ سطورِ الحياة"

الحياةُ ما هيَ إلاّ مواقفَ عابرة،
تنسُجُها أقدارُ مكتوبةٌ على مغزَلِ الأيَّامِ،
نرتدي معطفَ الصَّمتِ خوفاً من صقيعِ الكلامِ.
نتوهُ بينَ ثنايا وانحناءاتِ الحروفِ والعباراتِ،
نقفُ أمامَ اختياراتِ لا ندري مَنْ فرضها علينا
هل الزَّمنُ؟ أم القدرُ؟

أم أنّ الحياةَ ذاتها قد خبَّأت لنا بينَ حنايا سنينها عدَّةَ
مفاجآتٍ، زيَّنها الألمُ برِباطٍ أحمرٍ قد استعارَ حمرتهُ من
نزيفِ النَّدَمِ.

لَا نَدْرِي مَا الْمُخَبَّأَ لَنَا،
كُلُّ مَا عَلَيْنَا أَنْ نَخْتَارَ،
هُنَا نَقِفُ أَمَامَ الْمَصِيرِ.

إِمَّا أَنْ نَخْتَارَ تِلْكَ الْمَفَاجِئَ الَّتِي تَحْمِلُ فِي مَجْهُولِهَا إِبْرَةَ
الزَّمَنِ وَخَيْطَ الْقَدْرِ، لِتُرْمَمَ تَشَقِّقَاتِ وَنَدَبَاتِ أَيَّامِنَا.
أَوْ نَخْتَارَ مَفَاجِئَ تَحْمِلُ بَيْنَ طَيِّبَاتِهَا أَشْوَكَاً نَاعِمَةً، تَتَغَلَّغُ
بَيْنَ ثَنَائِهَا الرُّوحَ لِتُسَبِّبَ أَلَمًا مَدَى الْحَيَاةِ.

ويبقى السؤالُ:

هل سنمتلك الرّغبة تجاه استكشافِ المجهولِ بحلوهِ ومُمرّه؟
أم أنّ لعبةَ الحياةِ سنُلقِي في قلوبنا تهمةَ الرّعبِ والخوفِ
لنقفَ مُكبّلي الأيدي؟
وفي كلتا الحالتين سنلقى حتفنا خلفَ قُضبانِ المصيرِ.

نَقْفُ فِي حَيْرَةٍ كإِنْسَانٍ تَائِهٍ يَلْعَبُ لَعْبَةَ الْوَرَقِ،
 لَا يَدْرِي، أَيْرَمِي وَرَقَةً تَحْمَلُ رَقْمَ وَاحِدٍ لِيَكُونَ فِي حَيَاةٍ
 عَمَّا يَجْرِي حَوْلَهُ؟

أَمْ يَرْمِي وَرَقَةً تَحْمَلُ رَمَزَ الشَّابِّ لِيَلْمَمَ رِثَاءَ جِرَاحِهِ؟
 أَمْ أَنَّهُ يَبْقَى مُنْتَظِرًا إِلَى أَنْ تَسْقُطَ وَرَقَةٌ عَمْرِهِ،
 حَتَّى يَنْتَهِيَ مَعَ كَامِلِ آهَاتِهِ،

وَيَتْرَكَ

وَرَاءَهُ

بِقَعَةٍ

أَثَرٍ

تَرْمِزُ

إِلَى

مَعَانَاتِهِ

نَعَمْ هَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ .

"عُزلة"

كم أُعشِقُ عُزَلتي
بعيداً
عن
مجتمع
ملوثٍ
يضجُّ
بالمنافقين.

كم أحبُّ الجلوسَ مع نفسي ،
تحتَ سماءٍ ترتدي ثوبَ الآمالِ،
تطرِّزهُ النُّجومُ اللامعةُ،
أبعثُ حروفي ورجائي لها،
فتبعثُ لي إشارةً عبرَ كوكبٍ مجرّي مضيءٍ،
وكأنّها تخبرني بمواسماتها اللطيفة لتُطبِّبَ على قلبي عطفاً
واحتواءً.

"حزن"

سلامٌ على قلبِ
 أصبحَ مدينةً للأحزان،
 سلامٌ على قلبِ
 باتَ فيه الألمُ كل الأحيان،
 سلامٌ على قلبِ
 ليس للفرح فيه مكان،
 سلامٌ على قلبِ
 كتلةٌ من شعلة نيران،
 سلامٌ على قلبِ
 بنيانهُ بلا جدران،
 رحمَ الله قلباً باتَ يوشكُ على الاستقام.

أنثى ثوريّة قويّة تمتصّ الصّدّات
كما يمتصّ الإسفنجُ الماءَ.
تواجهُ الحياةَ بقوّةٍ رهيبَةٍ،
وتصنّعُ من الألمِ أملاً.
هكذا أبدو للآخرين،
ولكن ماذا عن الحروب التي تُقامُ
داخلَ صدري؟

أُقيمت ثورةٌ قلبي في

متى؟

حقاً لا أدري.

ولكنني أتذكرُ أنني قدّمتُ التّعازي لنفسي منذُ زمن،
فقد ماتَ ما بداخلي ولم يبقَ مِنّي سوى رثاءُ جسدٍ على قيدِ
الحياةِ.

صديقي الوحيد الآن هوَ ذاك القلمُ الأسودُ
الذي ملّ منَ الكتابةِ وتحطّمَ من شدّةِ القهرِ.
وتلك الأوراقُ التي اغتصبتها دموعي لتكونَ شريكها في
العذابِ، فإنّها أصبحت الآن عارِ.
ألا يكفي كل هذا ليكونَ سبباً بكوني راحلةً؟

"يأس"

في بعض الأحيان تنتابُ إلى عقولنا أفكارٌ مزعجةٌ،
تتأثرُ بواقِعنا، وتتحوّلُ إلى رنينٍ يُدقُّ في مسامعنا،
فجأةً..

ننوي الهروبَ

من ذاتنا، ومحيطنا، حتّى من أنفسنا.

واقِعنا مريبٌ، حياتنا مملّةٌ، أفكارنا فاشلةٌ.
تضيّقُ بنا الدُّنيا، فنهربُ إلى عالمٍ آخر
يخنقنا الواقعُ، فنلجأُ إلى الخيالِ،
إلى حيثُ تلكَ الأحلامُ التي نبنيناها في عقولنا،
ونُسكنها قلوبنا، ونرسلها عبرَ دعواتنا إلى ربِّ السّماءِ.
ولربّما الخيالُ أجملُ من واقعنا بكثيرٍ.

قد نظنُّ أنّها أوهاَم، أو مجردُ كلامٍ،
لكنّها حقّاً حكاياتٌ تستقرُّ في أعماقنا وتحتلُّ الوعي
واللاوعي لتتحمّم بنا
لنبقى سجناء التفكيرِ.
هكذا أشبهُ بمخدّرٍ يُحقنُ في أوردتنا حتّى نعيشَ بشبهِ
غيوبَةٍ عن واقعنا المريرِ،
حتّى نغيّبَ عن وعينا الأليمِ.

حتّى تنتهي ساعاتنا، وتتلاشى لحظّاتنا، ثمّ نمضي إلى
 رحمة ربّنا،
 مخلفين وراءنا رثاءً من أحلامنا،
 وحبيراً على أوراقنا،
 وكلماتاً سُطّرت بدموعنا،
 وخرابيشٍ على دفاترنا.
 عسى أن يأتي من بعدنا من يقرأ حروفنا،
 ويشعرُ بصراعنا بين خيالنا وواقعنا.

نِصْفُ أَمَلٍ

نِصْفُ حَلْمٍ

نِصْفُ رِضَى

نِصْفُ قَبُولٍ

نِصْفُ ابْتِسَامَةٍ

نِصْفُ حَيَاةٍ

أَقْفُ دَائِماً مُتَعَلِّقَةٌ فِي مُنْتَصَفِ الْأَشْيَاءِ.

قَالَ الشَّاعِرُ جِبْرَانُ خَلِيلُ جِبْرَانٍ:

"لَا تَعِشْ نِصْفَ حَيَاةٍ"

عُذْرًا يَا جِبْرَانُ، مَاذَا لَوْ كَانَ قَدْرِي فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ هُوَ

النِّصْفُ دَائِماً؟

هَلْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَبَدِّلَ قَدْرِي؟

هَلْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَلْفَ عَجَلَةَ الْحَيَاةِ لِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ؟.

"استياء"

بداخلي حلمٌ يكبرُ
 بقلبٍ على وشكِ الانكسارِ،
 بأملٍ يتلاشى،
 بضميرٍ حي يتهاكُ بينَ ضمائرٍ قد ودّعت الحياةَ.
 بعيونٍ ذابلةٍ،
 بجسدٍ مُتعبٍ،
 بذاتٍ تائهةٍ.
 كيفَ لهذا الحلمُ أن يكبرَ في واقعٍ ينهشُ أحلامَ الأنقياءِ،
 يأكلُ آمالهم، ويمتصُّ بريقَ الأملِ من أعينهم، ثمّ يقذفُ بهم
 على قارعةِ الحاضرِ الأليمِ.

"لعلّ الواقعُ يحتوينا رحمةً بما تبقى منا، ذاتَ يومٍ".

"فقد"

أشعرُ بفجوةٍ كبيرةٍ في حياتي،
أفتقدُ شيئاً ما،
ربّما حلمًا، ربّما أملاً، ربّما شغفاً،
ربّما أنا.

أحقاً يمكن أن أفتقدَ نفسي؟
ولمَ لا؟

فقد افتقدتها منذُ ذلك اليومِ الذي حلّت فيه فاجعةٌ على
قلبي، رحيلُ فقيدي من هذه الحياة.

يومُ الفراق : ٢٢/١١/٢٠١٨م

يوم الخميس، الساعة الثامنة وأربعون دقيقة.
 ذات الوقت الذي رحّب فيه والدي بقدومي من ضيق
 عالمي داخل رحم أمي، إلى سعة قلبه ورحابة صدره.
 وقت ممزوج بالفرح تارة وبالحزن والألم تارة أخرى.
 وقت لعين، قطع قلبي إرباً إرباً وفتت روعي وحول كياني
 إلى أشلاء مبعثرة.
 أمّا عقلي فلم يستطع استيعاب المشهد.
 لفظ والدي أنفاسه الأخيرة وودّع الحياة أمام عيناى، أشبه
 بضربة على رأسي شلت أعضائي وحواسي وتفكيري،
 تمزقت خلايا دماغي .
 قبلت جبينه، ودّعته وهو داخل كفنه،
 اللقاء الأخير،
 النظرة الأخيرة،
 القبلة الأخيرة،
 أيّ وجع بعد هذا يُذكر.

في اليومِ الأوّلِ من فراقِي لوالدي:

ظننته كابوساً حلّ عليّ ولا بدّ أن ينتهي،
 كنتُ مخدّرةً تماماً لم أستطع إظهار أي ردّة فعلٍ،
 حتّى دموعي تجمّدت داخلَ عيناَي،
 حاولتُ مراراً أن أذرفها،
 لكنّها أبت أن تسيل.
 في تلكَ الليلةِ غطّيتُ في نومٍ عميقٍ،
 وكأني أصبحت في اللاوعي،
 لأهربَ من تلكَ الحقيقةِ المرّة.

في اليوم الثاني من فقدي له:

استيقظتُ كمن يفيق من غيبوته،
يتساءل ما الذي حلَّ بهِ.
بدأتُ أدركُ واقعي شيئاً فشيئاً،
أدركتُ أنه لم يكن كابوساً،
بل ذلك الزمُّ الجميل لم يكن سوى حلماً جميلاً استيقظت
منه على مرارةِ الفقدانِ.
بدأتُ أشعرُ بفجوةِ نقصانهِ ثمَّ بدأتُ عينايا بذرْفِ الدَّموعِ
وكأنَّها انصهرتِ إثرَ لهيبِ نارٍ متقدِّةٍ داخلِ صدري.

أَمَّا عَنِ الْيَوْمِ الثَّلَاثِ مِنْ فِرَاقِكَ يَا فَقِيدَ قَلْبِي:

صَلَّيْتُ الْفَجْرَ وَدَعَوْتُ اللَّهَ كَثِيرًا بِأَنْ يَنْبِرَ قَبْرَكَ وَيُؤْنِسَ
وَحَشْتَكَ وَيَغْفِرَ لَكَ وَيَجْمَعَنِي بِكَ فِي جَنَّتِهِ.

ثُمَّ بَدَأْتُ يَوْمِي مَحَاوَلَةً الْإِعْتِيَادِ عَلَيَّ وَاقْعِي الْجَدِيدِ،
الْخَالِي مِنْكَ،

مِنْ صَوْتِكَ،

إِبْتِسَامَاتِكَ

وَحُضْنِكَ،

لَمْ يَكُنِ الْإِعْتِيَادُ بِالْأَمْرِ السَّهْلِ،
وَلَكِنْ قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ.

وبعد شهرٍ يا فقيدَ رُوحِي:

أصبحت فجوةً نقصانك في داخلي تكبرُ شيئاً فشيئاً،
 عجباً، هل الأيامُ ترممُ جروحَ الرّوحِ،
 أم تعود لتدميها من جديد.
 أشعرُ وكأنّني أودُّ أن أتقيّاً قلبي وروحي وجميع الألم الذي
 يحرق صدري،
 لأتخلص من غصّةٍ "رحيلك من الوجود".

وبعد سنةٍ كاملةٍ بأيّامها ولياليها الكالحة:

لم أتجاوز رحيلك،
كلّما ذُكرت على مسمعي كلمةً أبي،
أشعرُ وكأنّ أشواكاً تنغرس في حنجرتي،
تزدحمُ قطراتُ الدّموعِ على حافةِ جفوني،
تنغرسُ في صدري سهامُ الألمِ.
كلّما رأيتُ فتاةً تعانقُ أباهَا،
أشعرُ وكأنّني أريدُ أن أمزّقَ شرابيّني،
وأبترُ قلبي من شوقي إليكِ.

وفي الليلة الأربعمئة وثمانية وعشرون من رحيلك:

افتقدتك في أدق تفاصيل حياتي،
 ذرفتُ الدّم بدلَ الدّموع،
 دعوتُ الله كثيراً أن تزورني في حلمي،
 علّني أروي عطشَ رُوحِي بروئيتك
 ولو لبضع دقائق،
 تجمعني برائحتك،
 بحنانك
 وبعينيك.

"وتلاقت الأرواحُ عبرَ منامها حلماً جميلاً ليتها لم ينته"

٢٢/١١/٢٠٢٢ م

مزاج سيء، فقدان للشهية، إرهاق دون تعب، آلام دون مرض، جميعها أعراض رافقتني منذ الصباح..

ولكن ماذا حل بي ؟

هل دخلت في نوبة اكتئاب جديدة ؟

تساؤلات أكلت رأسي إلى أن نظرت إلى تاريخ اليوم.

أجل، إنها الذكرى السنوية ل انحناء روعي، وتمزق قلبي.

إنها الذكرى السنوية لموت فقيد قلبي، أبي.

ويا لها من ذكرى ..

في كل عام مثل هذا اليوم، أشعر وكأن فقيدي يفارق

روحي من جديد، يعتصر قلبي الماء، أفقد أعصابي، أفقد

السيطرة على نفسي، تبكي مشاعري، تنوح الذكريات،

أتخبط بين جدران القلب وبين جدران الذاكرة.

أودعه من جديد، أقبل رأسه وألوح له بقلبي،

كل ذلك يحصل ولكن بشكل غير مرئي،

رحمك الله فقيد قلبي أبي وأسكنك فسيح جناته.

"شوق وحنين"

قال الشاعر محمود درويش:

أحنُّ إلى خُبْرِ أُمِّي....
وأنا أقول:

أحنُّ إلى صوتِ أبي،
إلى عيونِ أبي،
إلى حضنِ أبي،
إلى زمنٍ يزيّنه وجودُ أبي.

ذهبتُ إلى حيثُ كنتَ تشاء
 ومُتَّ لتحيًا معَ الشَّهداءِ
 يا من فارقتكَ عيوني بالأسى
 قد أقمتُ لكَ في قلبي عزاء
 ذرفتُ الدَّموعَ المحرقةَ
 حتَّى أصابَ عينيَّ الجفاءُ
 فمتى أراكَ أخبرني
 أخبرني متى اللِّقاءُ
 ربّما غدًا أو بعدَ غدٍ
 أو بعدَ سنينٍ من العناءِ
 فارقتَ عيناى لكنَّك
 في قلبي آثرتَ البقاءِ.

أبي أشتاقُ لحنينك
لبريقِ عينيكِ المضاء
لبسماتكِ وضحكاتكِ
لصوتكِ الحنونِ والنداء
أصابَ الشيبُ رأسكِ
ونحتَ الزّمنُ على ظهرِكِ الحناء
لتبنيَ مستقبلي البعيد
وتزرعَ في قلبي الهناء
فلا أدري هل سأُكمل
دربي الطّويل المُستضاء؟
أم سأقفُ وأُعلنُ عجزِي
وأعودُ كما كنتِ إلى البكاء
أبي لو فرّقَ الموتُ أجسادنا
فأرواحنا متّصلةٌ بالدُّعاء
هنيئاً لكِ الفردوس
جنّةٌ من جنان السّماء.

"اكتئاب"

ويأتي الخريف...
وتغيمُ القلوبُ مثلما تغيمُ السّماءُ،
وتُطرُّ العيونُ بالبكاءِ،
ويزورُ أفكارنا أشخاص
لم يبقَ لهم في الوجود سوى الرّثاء،
ذكريات أرواحٍ عانقت السّماءِ.

ولنا في غيابهم ذكرياتٌ تُحكي،
 ولحظاتٌ لا تغيبُ عن البال.
 ألفُ كلمةٍ وكلمة ما زالت عالقةً في حنجرتي
 كغصّةٍ لم أبوح بها لأحد.
 تجولُ أطرافهم في خاطري وتبقى ابتساماتهم محفورةً في
 الذاكرة.

تهتُ بينَ الماضي والحاضر واضطربت مشاعري، ماتت
 جميعُ الأمنيات، ولم يبقَ سوى الصّمت وبضع لآلئ تسيلُ
 على الوجنتين.

تلكَ هي حكايةُ الألم، حكايةُ الفراق، روايةُ الشّوق.

أوهل للشّوقِ دواءً غيرُ اللّقاء؟

وماذا عن لقاءٍ كُتِبَ عليه المستحيل؟

إلا تحت عرشِ ربّنا الجليل.

وتمضي الأيّامُ، وتمضي الشّهور والأعوامُ،

ليعودَ الخريفُ من جديد، عائدةً معه الذّكريات.

لن أصفح
 أجل، لن أسامح من أقام في قلبي حرباً،
 وأشعل فيه نيران الألم،
 حيث اندلعت ثورة بين الحب والحق،
 بين المودة والاستياء،
 بين الثقة وعدمها.
 ومن ثم وقعت مجزرة تحت مسمى "مجزرة المشاعر".

قد يؤذينا البعض بطريقة نتجاهلها، أو لا نبالي لها،
لأنها لن تحدث أدنى تأثير،
ولكن لا ننسى أنّ هناك من يؤذينا بطريقة شنيعة،
أذى كبير للحدّ الذي يجعله يجتاح، يحرق، يُحطّم كل ما
بداخلنا، قد يكون بكلمة أو بفعل.
كلاهما لهما الأثر ذاته، كطعنة سيف أو انغراس رصاصة
في الصدر.

أذى يرمي بنا في الهاوية، ثمّ يجعلنا نتخبّط بأحاسيسنا بين
أنين الصّمت والخوف من الكلام فنرتمي على جسد
الحروف الضّائعة في حناجرنا، مستسلمين لحروب تُقام
في أفئدتنا.

كُل هذا بسبب أذى، فكيف إذا كانت الطّعنة من أقرب
الناس إلينا؟

"مَاذَا لَوْ عَادُوا مُعْتَذِرِينَ؟"

لا مرحبًا بِهِمْ وَلَا أَهْلًا،
ولا مكانَ لَهُمْ بَيْنَ ثَنَائِهَا الْقَلْبِ،
ولا زَمَانَ لَهُمْ مَعَ الذَّاكِرَةِ.

كَيْفَ يَعُودُ لِلْقَلْبِ مَنْ اسْتَهَانَ بِهِ؟
وكَيْفَ يَسْكُنُهُ مَنْ أَدْمَاهُ؟

يَعُودُونَ مُعْتَذِرِينَ!

عَنْ مَاذَا؟

عَنْ دُمُوعِي الَّتِي نَقَشْتَ طَرِيقَهَا عَلَيَّ وَجَنَّتَايَ،
أَمْ عَنْ تِلْكَ الْحَرِيقَةِ الَّتِي أَكَلَتْ قَلْبِي وَأَهْلَكَتُهُ،
أَمْ عَنْ خَيْبَتِي الَّتِي كَادَتْ تَنَالُ مِنْ بَضْعِ أَجْزَاءِ مُتَبَقِّيَّةٍ مِنْ
جَسَدٍ لَا يَزَالُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، لَا بَلْ عَلَى قَيْدِ التَّعَايِشِ مَعَ
حَيَاةٍ يَعِيشُهَا أَشْبَاهُ الْبَشَرِ.

أَيَسْتَطِيعُ الْقَاتِلُ إِحْيَاءَ الضَّحِيَّةِ؟

من
رحم
الألم
يولد
الأمل.

"طمأنينة واحتواء"

قرأتُ ذاتَ مرّةٍ:

احتواء القلب هو أوّل

درجات الأمان.

ولم أجد ما يشعرني بالراحة والأمان

أكثر من احتواء الله لقلبي.

عندما تعصفُ بداخلي رعودُ القلق، وأضطربُ وأرتبكُ،
وتظهرُ على وجهي ملامحُ الهلع والخوف، أركضُ مهرولةً
لسجادتي، أرتدي ثوبَ الصلّاة وأسجد.

أبكي بصمت، أتمتم بحروف وعبارات لا يسمعا غير الله،
أغرقُ في بحورِ الدّعاء، أتلعثمُ وتزدحمُ حروفي، فأصمت.
أتنفّسُ بعمقٍ وأقول:

يارب لم أستطع ترتيب حروفي وكلماتي، فأنت أعلم ما
بقلبي، فاستجب.

أبكي حتى تجفّ دموعي، أشعرُ وكأنّ أثقالَ الدّنيا وهمومها
سقطت عن أكتافي، وكأنّ جميع مشاعري المضطربة
تلاشت عندما طأطأتُ رأسي ساجدة.

أرفعُ رأسي، أمسحُ وجنتي من بقايا الدّموع العالقة بين
المسامات، متشبّثة بها خوفاً أن تقع.

أشعرُ بأنّ الطافَ الله احتوتني، وأنّ ملائكة الرّحمة
طبّطبت على روعي حتى أهدأ.

"حب"

عِينَاهُ
أَبْجَدِيَّتِي،
مَنْذُ
تَلْكَ
النَّظْرَةَ
وَحُرُوفِي
تَوْلُدُ
مَنْ
رَحْمِ
الْحَبِّ.

لم أكن من الذين يُؤمنون بالحبّ.
 كُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّ الْحَبَّ أَشْبَهُ بِخِرَافَةِ جَاهِلِيَّةٍ قَدِيمَةٍ، يَقْنَعُ
 الْإِنْسَانُ بِهَا قَلْبَهُ قَبْلَ عَقْلِهِ، لَيْسَرَحَ فِي عَالَمٍ جَمِيلٍ لَا
 مَتْنَاهِي مَلِيءٍ بِالْمَشَاعِرِ الَّتِي تَنْعَشُ رُوحَهُ.
 هكذا...

حَتَّى وَقَعْتُ فِي دَوَّامَةِ الْحَبِّ، وَمَنْ النَّظْرَةُ الْأُولَى.
 أَحْبَبْتُ، نَعْمَ وَأَجَلَ، وَلَكِنْ فِي أَيِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ؟
 مَنْ يَدْرِي؟

كُلُّ مَا أَدْرِكُهُ أَنَّ هُنَاكَ شَعُورٌ لَا بَلَّ مَشَاعِرَ شَتَّى تُنْسَبُ إِلَى
 مَا يُسَمَّى بِالْحَبِّ، قَدْ تَغْلَغَلْتُ بَيْنَ ثَنَائِي قَلْبِي وَأَعْلَنْتُ
 اسْتِقْرَارَهَا.

شُلَّتْ أَفْكَارِي،

شُلَّتْ حَوَاسِّي،

أَصْبَحْتُ فِي اللَّأَوْعِي،

فِي اللَّأَوْجُودِ.

شَبَّهُ غَيْبُوبَةٍ فَصَلَّتْنِي عَنِ الْوَاقِعِ لِدَقَائِقَ حَسْبَتْهَا أَعْوَامًا،

لَأَدْرِكَ نَفْسِي عَلَى شَاطِئِ بَحْرِ الْعَشَّاقِ.

كَيْفَ لِي أَنْ أَكُونَ هُنَا؟

وَأَنَا الَّتِي عَقَدْتُ هَدَنَةً مَعَ الْحَبِّ لِعَمْرٍ بِأَكْمَلِهِ، قَدْ خَرَقَتْهَا

عَيْنَاهُ لِعَمْرٍ بِأَكْمَلِهِ أَيْضًا.

كُلُّ تِلْكَ الْمَشَاعِرِ اجْتَا حَتَّى أَمَامَ تِلْكَ النَّظْرَةِ، وَهِيَ أَنَا أَقْرُ
وَأَعْتَرَفُ بِحَقِيقَةِ هَزَمَتِي، وَهَزَمَتِ مِشَاعِرِي وَمِبَادِي،
وَفَاقَتِ تَوَقُّعَاتِي، وَحَوَّلَتْ حَيَاتِي الرَّمَادِيَّةَ إِلَى أَلْوَانٍ وَرَدِيَّةٍ.

وَهَلْ هُنَاكَ أَسْمَى وَأَجَلٌ مِنَ الْحَبِّ؟

"أنتَ العُمُرُ والحياةُ وأجملُ مصير"

مرَّ أكثرُ من عامينِ على عقدِ القرانِ،
عُقِدَ الوتِينُ بالوتينِ،
عُقِدَ الفُؤَادُ بالفُؤَادِ،
عُقِدَتِ الرُّوحُ بالرُّوحِ،
تَشَابَكَتِ اليَدُ باليدِ،
عُقِدَ العَهْدُ والوَعْدُ.
اخترتهُ شريكاً لِحياتي، ورَفيقاً لِعُمري، وسنداً لِطَريقي،
وَحُبّاً يَحْتَلُّ حواسي.
لَنْ أَنسى النِّظرةَ الأولى،
ورِيشةَ اليَدِ الأولى،
وقُبلةَ الجبينِ الأولى،
وكلمةَ أَحَبُّكَ حينما نطَقها لسانهُ للمرَّةِ الأولى.
مشاعرُ أَهلَكَتْ قلبي حُبّاً،
وَضَمَّتْ رُوحِي عِشْقاً.
منذُ أَن وَقعتُ بِهِ وَحُرُوفي تُولدُ مِنْ رَحْمِ الحُبِّ.

وفي ٢٠٢١/٢/١١ م

أقمنا حفلَ زفافنا وارتديتُ لهُ فستاني الأبيض
النّاصع، اخترتُ أن أمضي معهُ العمرَ بأكمله، بمرارتهِ قبلَ
حلاوتهِ.

تعاهدنا أن يصونَ ودّي وأن أخلصَ له حبي، ثم رقصنا
تلكَ الرّقصةُ التي لطالما تمايلتُ بها بغنجٍ ودلالٍ على
أوتارِ عشقنا، تلكَ الرّقصةُ التي شبكتُ فيها يداي حولَ
عنقه حبّاً، وحاوِطُ بيديهِ خسري معلناً للعالمِ بأكمله أنّني
أصبحتُ ملكاً لهُ وملكةً على عرشِ قلبه.

رقصةً على مسرحِ احتضنَ جسدينا، تشابكت خلالها
الأرواحُ والقلوبُ وأعيننا.
جمعنا الله بحلاله تحتَ سقفي واحدٍ، كما جمعَ قلوبنا تحتَ
سقفي الحبِّ.

"أمومة"

الأنثى ذاتُ مشاعرٍ مكتملةٍ ومتكاملةٍ
لا شكَّ بها

ولكن على الرّغم من ذلك
يبقى هناك شعورٌ لا تشعرُ بهِ
إلا عندما تأتي مشيئةُ اللهِ بذلك
ألا وهو "الأمومة"

بدأت رحلتي مع هذا الشعور منذ أن زرع الله في رحمي
 جنيناً ينبض بالحياة،
 شعوراً تعجز حروف الأبجدية عن وصفه،
 وكيف لي أن أصف كتلة مشاعر اجتاحتني عندما بدأ كائنٌ
 صغيرٌ جداً يسمّى "الجنين" بالتكوّن في أحشائي، شاركني
 دمي، أنفاسي و غذائي،
 شعرتُ بحركاته وكأنّها رسالاتٍ يطمئنني بها،
 وعلى الرغم من جميع المتاعب التي مررتُ بها أثناء
 حملي، إلا أنني كدتُ أذوبُ شوقاً لرؤيته واحتضانه.
 مرّت تسعة أشهرٍ وأنا أعدّ الأيام والساعات وكأنّها تسعُ
 سنواتٍ انقضت إلى أن اقتربت اللحظة المنتظرة.

بدأت ألام المخاض، ألام مميتة دامت ستة وعشرون ساعة، إلا أن خوفي على حياة صغيري جعلني أخضع للعمل الجراحي "القيصريّة"، تحت تأثير التخدير النصفي. على الرغم من الخوف الذي سيطر علي، إلا أنه قد تلاشى عندما رأيت طفلي للمرّة الأولى.

صرخ صرخته الأولى وملاً الدنيا ضجيجاً توجّ قلبي، أخذت أتأمل تفاصيله حتى نسيته تماماً أنني تحت عمل جراحي، كيف لا وأنا أرى فلذة كبدي أمام عيني الذي لطالما كاد يقتلني شوقي لرؤيته.

امتلأ حُضني
ازهرت رُوحِي
تورّد قلبي
وازدادت
عائلي الصّغيرة
قطعة سُكّر.

وأخيراً.....

عزيزي القارئ:

تذكر دائماً..

لن يكونَ عمرَكَ كلُّهُ خريفاً
 هناكَ فصلٌ من فصولِ الحياةِ
 سيمرُّ على خريفِ قلبِكَ ليزهرهُ
 وعلى بردِ روحِكَ القارسِ ليُدْفِنهُ
 تذكر...

لن تتساقطَ سنينُ عمرَكَ كلِّها
 كأوراقِ الأشجارِ الخريفيةِ اليابسةِ
 على أرضٍ قاحلةِ
 بل ستنبتُ وتُزهَرُ أيضاً
 ولكن في فصلٍ واحدٍ فقط
 "ربيعُ الحياةِ"
 حاول أن تُدركهُ.